المحاضرة الثانية: مسرح شكسبير

مقدمة:

بدأ الانفصال عن الكنيسة عام 1210م عندما صدر قانون يحرم العروض المسرحية داخل الكنائس، ومنه انتقلت العروض من الكنائس إلى الساحات العمومية في المهرجانات والمناسبات الدينية، ومنه بدأت بعض العناصر الجديدة تحف إليه مثل استخدام اللغة المحلية بعد أن وضع الملك "ادوارد" الثالث حدا لانتشار اللغة الفرنسية التي كانت سائدة منذ فتح "غيوم" بريطانيا في القرون الوسطى، وبذلك نشأت اللغة الإنجليزية الحالية والتي هي مزيج من لهجتي السكسون والنورمان. إضافة إلى دخول شخصيات واقعية، والمشاهد الهزلية والتعليقات الساخرة. أهم ما ميز المسرح في هذا العصر هو ظهور الحبكة الثانوية أو الثانية التي ظهرت في العروض شبه الدينية، وهي تركيبة تفرد بها المسرح الإنجليزية عن غيره من المسارح الأوروبية وحتى التراث الكلاسيكي، وأول ما ظهرت في مسرحية (الراعي الثاني) The Second Shepherd's Pageant، وهي من المسرحيات التي كانت تعرض في مدينة "ويكفيلد" Wakefield " بمقاطعة يوركشاير" Yorkshire.

والكوميديا الرومانسية الإنجليزية ويمثلها "جون ليلي" وهي تلك الكوميديا التي تدور حول الحب بمعناه الرومانسي، والتي تعتمد في بنائها الدرامي على نظام الحبكات الثنائية، وتتجاهل قانون الحدات الثلاث، وهي الكوميديا التي تنهل من التراث الشعبي والفلكلور الشفهي والأدب الكلاسيكي على السواء. وهناك كوميديا الأمزجة والتي برع فيها "بن جونسون"، والمسرحية السياسية الساخرة، والكوميديا الواقعية والتي برع فيها "توماس ميدلتون" *Thomas Middleton*.

المسرح قبل شكسبير:

نشأ عدد من المسارح في لندن، وكانت المنافسة شديدة بينها، وحرس كل منها أن يحجز لنفسه مجموعة من النصوص التمثيلية يسابق بها منافسه، كما حرص كل

منها كذلك أن يطالع الجمهور بنصوص جديدة من حين لآخر، لهذا تسابق أصحاب المسارح في استخدام الممثلين والكتاب الذين في وسعهم أن يحوروا النصوص القديمة لتبدو أمام المشاهدين في ثوب جديد. فلما دنا القرن السادس عشر من ختامه، ظهرت طائفة من كتاب المسرح أطلقت على نفسها (فطناء الجامعة) *The University wits* لأن رجالها تخرجوا من جامعتي "أكسفورد" و"كمبردج". أرادت هذه الجماعة أن تعيش بأقلامها، فعرضوا على المسارح بضاعتهم من نصوص مسرحية بعضها تحوير للقديم، وبعضها جديد مبتكر، وإنما أطلق هؤلاء الكتاب على أنفسهم هذه الكنية ليمتازوا بها عن فريق من الكتاب ممن لم يدرسوا بالجامعة، وكانوا ملمين بما خلفته الآداب القديمة في الفن المسرحي، فيعلمون ما كتبه "بلوتوس" *Plautus*، وما تركه "سينيكا" *Seneca* من أدباء الرومان، كما حاولة جهدهم أن يطلعوا الناس على هذا النمط الموروث من المسرحية، وقد أنتج (فطناء الجامعة) طائفة كبيرة من المآسي والملاهي، ومن المسرحيات التي تمزج بين المأساة والملهاة، وهذا ضرب جديد من المسرح الذي يميز المحدثين عن القدامى.

أشهر هؤلاء الفطناء "مارلو" *Marlow* ، "غرين" *Green*، "ناش" *Nash*، وهم من خريجي "كمبردج" ، ثم "ليلي" *Lyly*، "بيل" *Peele*، "لودج" *Lodge* وهم من جامعة "أكسفورد".

وليم شكسبير *William Shakespeare*(1564-1616) آثاره وتأثيره:

يقسم مؤرخو الأدب الأنجليزي مسرحيات شكسبير السبع والثلاثين (طبع ما يناهز العشرين منها في حياته) غلى أربعة فترات زمنية مختلفة كل الاختلاف في اتجاهاتها:

<u>الأولى</u>: فترة التعلم (1580) والتي حاول أثناءها التأليف مع الاقتباس كما يبدو من ثلاثية (هنري الرابع) Henry IV (1590) التاريخية و(متاعب الحب الضائعة) Love's Labour's Lost (1590).

الثانية: فترة النضج السعيدة (1593-1601) التي تميز جو مسرحياتها العام بالبهجة والحماسة، وسيطر على مضامينها، بالإضافة إلى قيام المرأة العفيفة والحكيمة فيها بالدور الأول، الحب والوطنية، وأشهر هذه المسرحيات الدرامية (ريتشارد الثالث) Richard III (1592)، (روميو وجولييت) Romeo and Juliet (1594)، (حلم ليلة صيف) Midsummer Night's Dream (1594)، (هنري الرابع) (1597)

الثالثة: فترة النضج المظلمة: (1601-1608) وهي الفترة التي تحول فيها تفاؤل "شكسبير" ولأسباب ما إلى تشاؤم قاتم، وإليها تنسب مجموعة من الدراما ذات الشخوص الحمقى والمشاعر الهائجة مثل (يوليوس قيصر) Julius Caesar (1600)، (هملت) Hamlet(1601)، (عطيل) Othello (1604)، (مكبث) Macbeth (1606)، (انطوان وكليبترا) Antony and Cleopatra (1606)، (الملك لير) King Lear (1606).

الرابعة: فترة الهدوء والسكينة (1608) والتي عبر فيها "شكسبير" عن شفقته ورأفته بالإنسانية لاسيما في (العاصفة) The Tempest (1611)، وفي رعوية (حكاية شتاء) Winter's Tale (1610).

أما تأثيره فقد بدأ مع الأديب الفرنسي "فولتير" *Voltaire* الذي كان أول من كشف في (الرسائل الإنجليزية) Lettres Anglaises (1734) عن شخصية "شكسبير"، وأشهر اسمه في فرنسا، وكان من المتأثرين والساخطين عليه، وعلى عبقريته البربرية التي تصدم وتغيظ الذوق الكلاسيكي.

ومن دلائل تأثير "شكسبير" قيام "بيار أنطوان دي لابلاس" *P.A. de La Place* سنة (1745) بترجمة مؤلفاته، وإن كانت غير وفية، كما قام "بيير لوتورنور" *P. Le Tourneur* سنة (1776) بترجمة أعماله في عشرين مجلدا. ويزداد تأثير "شكسبير" في أدباء القرن التاسع عشر منهم السيدة "دستايل" *Madame De Stael* و"شاتوبريان" *Chateaubriand* و"فكتور هيجو" *V.Hugo* و "ألفرد موسيه" *A.Musset* ... ويظل

"شكسبير" يملأ الدنيا ويشغل الناس على امتداد العصور، وتظل مسرحياته تمثل حتى الآن في معظم المسارح العالمية.

مراجع شكسبير:

1-أساطير الأقدمين وأشعارهم

2-كتب التاريخ

3-كتاب "بلوتارك" *Plutarque*(حياة المشهورين من الرجال) Lives of illustrious men

4-معاصروه من أمثال "بن جونسن" *Ben Joson* ، "فرانسيس بومون" *Francis Baumont* ، "جون فلتشر" ، *John Flecher* ، "فيليب ماسنجر" *Philip Massenger*، "جون وبستر" *John Webster* .

ويعتقد الدارسون أن "شكسبير" أخذ عن غيره موضوعات مسرحياته كلها إلا اثنتين هما (جهد الحب الضائع) و(العاصفة) إذ يعثر النقاد على دليل يثبت أنهما مستعارتان.

خصائص فنه الدرامي:

الدراما "الشكسبيرية" قصة معقدة تدور حول شخوص في كل الأعمار ومن كل الفئات الاجتماعية، فضلا عن الأغوال والسحرة وحتى الحيوانات، حيث تظهر في تناقضات عنيفة، ومواقف منفرة للذوق الكلاسيكي. وقد يذهب "شكسبير" بالحوادث حد التنافر وعدم مشابهة الحق والمفارقات التاريخية، وهذا ما دفع منافسه "بن جنسون" إلى الزعم بأن ليس لـ"شكسبير" مثقال ذرة من الذوق، وأن مسرحه خال من الفن لخلوه من الاختيار.

وإذا كان البطل الكلاسيكي يجسد شهوة عامة كالطموح والحب... فإن البطل "الشكسبيري" فرد يعيش واقعه الحقيقي، ويجسد ما في الإنسان من رذائل وفضائل ولا يستغله "شكسبير" قط للتعبير عن رأيه، بل يدعه يتكلم لغته التي تلائم وضعه الاجتماعي، وتفصح عما يجيش بداخله من تمزق وتناقضات.

وكما هو في الحياة العادية، فإن "شكسبير" يمزج في مسرحياته بين الهزل المضحك والجد المأسوي، وتطبع الكل غنائيته التي تحول الفكرة إلى صورة شعرية غاية في الروعة والجمال.

ولا غرابة بعد هذا إذا كان "شكسبير" لا يعرف أو لا يحترم قواعد الجمالية الكلاسيكية، فنظامه الدرامي خاص به، وقاعدته الوحيدة هي جلب إعجاب الجمهور، زمن أجل ذلك يسخر كل الوسائل حتى خرق وحدتي الزمان والمكان وهنا يكمن سر عبقريته الفذة.

كان "شكسبير" يبدأ مسرحياته من نقطة ساخنة أولية للفعل، ولم يكن يبدأها بقمة الأزمة-كما كان يفعل الكلاسيكيون القدامى-وهذا ما أدى إلى امتداد مساحة الفعل وانفتاحه زمانيا ومكانيا، الأمر الذي أدى بدوره إلى كسر وحدة الفعل. وقد تطلب ذلك –بالمقابل- وجود حشد من الشخصيات تملأ حركة المسرحية. ومع هذا التنوع الزاخر إلا أن "شكسبير" كان يمتلك البراعة بالتركيز على ما هو ضروري جدا، ويخدم حركة الحبكة الأساس في مسرحيته، فجميع الحبكات الثانوية أو المزدوجة التي حفلت بها مسرحياته وظفها لتعزيز الاهتمام بالحبكة الأساس وتأكيدها.

تشترك مآسي "شكسبير في مميزات أهمها:

-تصور المأساة شخصية عظيمة وقعت في موقف صعب يتيح الكشف عن جانب من جوانب الضعف أو الانحراف عن هذه شخصية.

المحاضرة الثانية: مسرح شكسبير

-يعتمد على تصرف البطل -غالبا- فهو يجسد مصير أمة بأكملها لا مصيره الشخصي وحده.

-يعني "شكسبير" بتصوير الإطار الواسع الذي يتحرك فيه البطل.

-يحرص "شكسبير" -غالبا- على تأكيد فكرة استمرار الحياة على الرغم من النهاية المأساوية للبطل.

-تجمع المسرحيات بين الحبكة وعمق الفكرة، بحيث تجتذب جماهيرا من مستويات متفاوتة ذكاء وثقافة.

لذلك لم يكن الجمهور يستسيغ مشاهدة المأساة الكلاسيكية التي حاول كل من "ادموند سبنسر" *Edmund Spenser* و"بنيامين بن جونسون" *Benjamin Ben Jonson* عرضها بقواعدها المعروفة، وإنما كان يحبذ الدراما على طريقة "مارلو" و"شكسبير"

ومن الاعتبارات التي عملت في تكوين مسرحياته:

-أنه كان ممثلا، وكان يعرف قدرة الممثل على التمثيل الدقيق للوضع المطلوب.

-أنه كان مشاركا في ملكية المسرح، وكان عليه أن يراعي الناحية التجارية، وأن يتفهم دوق الجمهور.

-أنه كان يكتب للمسرح مباشرة، وكان عليه أن يتكيف مع طبيعة المسرح الفقير في عصره، وإمكاناته المحدودة وهذا يفسر كثيرا من الظواهر الفنية في مسرحياته مثل خروج الممثلين في آخر كل مشهد، وتعرض المتكلمين لوصف المناظر الطبيعية، أو الإضاءة بسبب افتقاد امكانات المسرح التزيينية.

-أنه كان يخضع جميع الاعتبارات السابقة لطموحه الفني الأصيل، وكان يهمه أن يرضي نفسه مثلما يرضي جمهوره.

المحاضرة الثانية: مسرح شكسبير